

كتاب: الأساس فك العلاج الجمعد (54)

مؤتمر: العلاج الجمعد والعمليات الجماعية: الأمل فك أوقات عصيبة

(القاهرة 24 - 27 سبتمبر 2013)

كيف يمكن استيعاب الموقف البارنوك فك العلاج الجمعد؟ (2 من 4)

(والحياة)

برنامج الكر والفرو وعلاقته ببرنامج الدخول والخروج

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD12813.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/08/12
السنة السادسة - العدد: 2173



.... إذن فالمسألة ليست "موقع" أعيشه أنتقل منه إلى ما يليه فينتهي دور الأول،

وإنما:

الفرض:

هي رحلة نشطة مستمرة طول الوقت : كل موقف له مشروعته وتوقيته ودوره، وأنا في مرحلة نمو أحتاج إليه، وأسأله بوعي ما في تشكيل ما يقوم به ، هذا الموقف ذاته (لا يختزل إلى الموقع)، هو تشكيل قائم دائم، (وعى إيقاعى النشاط) مساهم في تكامل الوجود ودفع مسيرته، وليس مجرد تاريخ مضى، أو مستوى بدائى أثرى رمزى. إتاحة الفرصة لكل تشكيلات الوجود أن تنتظم تدريجيا وتصاعديا في تشكيلات أقدر وأعد إلى وجه الحق تعالى (ربى كما خلقتنى)، هي مسؤولية التربية ، وهو فن العلاج، وهو جوهر الإيمان لتناسب اضطراد مراحل النمو بأقل قدر من المضاعفات، وأكبر قدر من الإبداع.

إن صح هذا الفرض، فعلينا أن ندرس كل موقف يبدو سلبيا منفصلا عن الكل، حتى ندرك أبعاد قدراته، لا لنسبطلها تماما، وإنما لإمكان احتوائها في مسيرة النمو والعلاج.

الوسيلة الممكنة لتحقيق ذلك في الحياة، وفي العلاج عموما، والعلاج الجمعى خاصة ، وفي كدح الإيمان، وفي الإبداع، تتطلب كلا من:

1- الاعتراف والرؤية

2- السماح والضبط

3- التناوب مع وبين مستويات الوعى

4- التشكيل والإبداع

وبالتالى فهي ليست:

(1) الإنكار والمحو

(2) الحُكم والرفض

(3) التفريغ والتسكين

(4) التجميد والحلوسط

يتم ذلك من خلال:

(أ) الكشف حتى لو اضطررنا إلى التكبير المزعج (التعرية التفاعلية)

(ب) الدراية البصيرية^[1] (غير الاستبطان والعقلنة)

(ت) التفعيل فالنقد الذاتي والجوارى (على أكثر من مستوى وعى)

(ث) المؤاكلة (الوعى الجمعى) والمسؤولية (الحركة معاً، ضد الفرجة)

لعل الاعتراف والرؤية، بما يحملان من فرص الكشف والبصيرة، هما ما دعانى إلى تقمص الوجه السلبي لبعض مستويات الوجود، كحقيقة آنية داخلنا، ثم تكبيرها حتى نهايتها السلبية، وقد كان ذلك بالذات فى خبرة تقمصى الفنى لبعض زملاء "مجموعة المواجهة" (كما خرجت شعرا).

المقتطف الحالى هو تشكيل لتقمصى للموقف البارنوى، لأحد زملائنا، مع المبالغة للشرح، ليس لعرض نوع سلبي من الوجود، وإنما فى محاولة للكشف عن حركيته النشطة عبر برنامجى: (1) "الكر والفر" و(2) "الدخول والخروج"، وما يتفرع منهما، مع النظر فى احتمال جدل بعيد.

فى النشرة قبل الماضية (يوم الإثنين الماضى) عشنا مع هذه العين التى تتلمس الطريق إلى الآخر باحثة عن علاقة، فهى تبدأ بإعلان الحاجة إلى "الشوفان"، التى أقررنا أنه بدون إروائها يصبح الزعم بعمل علاقة نمائية حقيقية بين اثنين: "الوعى البيئشخصى" فأكثر "الوعى الجمعى"، مقول بالتشكيك، وسوف نعيد بعض المتن كبداية لازمة، وعلى من يريد أن يتذكر الشرح والتعقيب أن يرجع إلى تلك النشرة (نشرة 5-8-2013).

يقول المتن فى البداية:

والعين الخائفة اللى بتلمع فى الضمّة

عمالة تختبر الناس:

بتقرب من بحر حنائهم،

زى القط ما بيشمشم لبن الطفل بشاربه.

عماله يسأل:

عايزينى؟

طب ليه؟

عايزينى ليه؟

إشمعنى الوقتى؟

ثم ننقل اليوم بعد هذا التساؤل الذى يحمل كل شك المتلمس الرؤية فالعلاقة، ليس فقط فى أن الآخر يراه، ولكن أيضا فى أن له قيمة ما، تعنى عند هذا الآخر شيئا ما، قيمة تجعله يحتاجه شريكا، وليس للاستعمال من الظاهر، ومع ذلك يبدو أن مجرد إعلان هذه الاحتمالات فى صورة أسئلة، تشير إلى عدم الاستسلام المطلق للموقف البارنوى الجازم بأنه "لا أحد يريده، أو يراه"، وبالتالي فالوجود ليس إلا كرفر، ورعب وشك، وإبعاد وانسحاب. يقول المتن:

واستخونكم، واتعري يمكن أطفشكم!

أنا قاعد راضى بخوفى المش راضى.

أنا قاعد لامم أغراضى.

قاعد أَصْنَتْ، فاتح وعي الجواني

على همس السّت المش شايفاني،

وأسهّيها،

واتمسّح ف كُعوب رجليها.

تتملّم،

أخطف همسة "أيّوه"، أو لمسة "يمكين".

واجري اتدقّي بـ "يعني"،

شرحنا أمس كيف أن هذا التشكيل، يغلب عليه محاولة حقيقية للاقتراب الحذر، ثم ها هو يتحسس سبيله إلى "علاقة" ما، لكنه كان قد اتخذ موقف "الانتظار"، أكثر من استعداده لمواصلة برنامج "الدخول والخروج"، الذي أشرنا إليه في حالة سابقة **(السويقة: عدد: 2145، نشرة 15-7-2003)** وأيضا هو يختبر هذه الخطوة الجديدة تجنباً للانسحاب الذي يجرى بأن يعفيه من مواصلة استجداء الرؤية تبادلاً مع أشواك التحفز.

موقف الانتظار هذا يتجسد في هذا التشكيل كنوع من "الرضا النزق بالبقاء على مسافة"، حتى لو ظل الخوف يلزمه. تجسيده للخوف هنا ككيان مستقل يشير إلى رفض موقف الانتظار هذا. الخوف هنا يصاحبه نوع من الضجر وفي نفس الوقت محاولة قبوله حالة مركبة: "راضى بخوفى المش راضى"، يتم ذلك بوعي أعمق بعيداً غالباً عن بؤرة الدراية "قاعد أَصْنَتْ، فاتح وعي الجواني"

هذا المقطع يظهر أنه مهما أعلن صاحب هذا الموقف رغبته في الاقتراب، ومهما حاول بداية مشواره نحو تقليل المسافة بينه وبين الآخر، ومهما رضى بالقليل من الاعتراف به، أو سرقة بعض الدفء العاطفي حتى من وراء صاحبه أو صاحبتة، فإنه يبدو كما لو كان لا يرحب بالتمادي في هذا الموقف، إنه يتبين - حقيقة أم توجسا- أن ما يصله غير كاف، بل غير خالص، وسواء كان ما يصله أصيلاً أو تفضلاً زائداً، فإنه سرعان ما يفترض أنه عطاء مشكوك فيه، مغلف بضجر يبطل احتمال أية علاقة حقيقية "وأسهّيها، واتمسّح ف كُعوب رجليها. تتملّم".

هذه المشاعر هي استقبال هذا الشخص وقد تنشط لديه الموقف البارنوي، وهي استقباله أكثر منها حقيقة الحادث خارجه، إنه هو الذي يتصور أنه غير مرغوب فيه لهذه الدرجة، وذلك استكمالاً لموقفه التوجسي الذي شرحناه أمس، وهو أيضاً امتداد لموقف "خطف العواطف"، وسرقة بعض الدفء. إن كل ذلك إنما يؤكد أن الثابت في قاع وعيه هو: أنه "مستحيل أن يرى، أن يُقبل، أن يُعترف به".

يحتاج اضطراد التقدم، على مسار رحلة النمو السليم وفي العلاج الجمعي، إلى المغامرة بقبول الاعتراف بأن ثمّ مصدرا للحب موجود كموضوع حقيقي يشجع حفز التقدم نحوه. الذي تقدمه هنا هو غير ذلك تماماً، بل هو عكس ذلك، إذ سرعان ما تفقز ردّة حادة بشكل أكثر توجسا، وأحدّ شكاً، والأرجح أن هذه الردة بهذا العنف هي نتيجة أنه سمح لنفسه ببعض التصديق الذي سرّب إليه الدفء هكذا، (الفقرة السابقة)، ولعل هذا يقابل ما جاء في قصيدتي في ديوان سر اللعبة، (جلد بالمقلوب).

وبقدر شعوري بحناتك:

سوف يكون هجومي لأشوه كل الحب وكل الصدق،

فلتحذّر

إذ في الداخل
وحش سلبي متحفز
في صورة طفل جوعان
وكفى إغراء

وحذار فقد أطمع يوما في حقى أن أحيا مثل الناس
في حقى في الحب

الأمر هنا في هذا الكشف الجديد مختلف برغم أننا مازلنا في نفس الموقف (البارنوى) من حيث أن هذا الجائع إلى الحب والاعتراف، هو هو الذى اقترب، هو الذى يتحسس طريقه، هو الذى يخطف أية بارقة حنان، هو المستعد أن يرضى بأقل القليل حتى توهماً، لكنه لا يكاد يُقر أن ثمَّ آخر، يعطى دفءاً ما، حتى يرتد على عقبيه فيدور مائة وثمانين درجة وهات يا توجس، وهات يا شك، وهات يا استخوان، وهات يا دفع بعيدا، ومن ثم الهجوم، والتهديد، والعدوان، بلا تردد، ولا هوادة. لم يمس أحدٌ له طرفا، لكنه ما كاد يصدق أن احتمال الحب والرؤية والاعتراف وارد، حتى فزع ورفض ودفع وتتمّر، ربما هذا ما يقابل ما جاء في قصيدة "جلد بالمقلوب" حيث يحتد التوجس والهجوم والهرب، بالتحذير من الإغراء بالتلويح بالحب أو بالحنان "يا من تغرينى بحنان صادق .. فلتحذر... إذ في الداخل: وحش سلبي متحفز".

....الخوف من الاقتراب هو خوف من الحب، مع أن القصيدة هنا كلها تعلن، ومنذ البداية، أن السعى كل السعى بدا أنه محاولة لطرق احتمال قبول جرعة ما من الاعتراف، والرؤية، والقبول بالحب.

كيف يمكن فهم هذا التناقض الظاهر؟

في الموقف العلاجي (والنمائى) يبدو أن هذا هو الذى يجرى بدرجات مختلفة من عمق معين:

علينا أن نتوقع أنه بمجرد أن تلوح علاقة حقيقية، يقفز دفاع التوجس فالعدوان، والتهديد، والتربص، والدفع. هذا المقطع بالذات يذكرنا بشدة بالفرض القائل إن هذه المواقف المتتالية، ليست فقط مترتبة على علاقة الأم بطفلها فى مراحلها الباكرة، (النظرية الإيقاعية التطورية **Evolutionary Rhythmic Theory** بل إنها برامج منزرعة فى الإنسان نتيجة أنه يحمل فى تكوينه - بفضل الحق تبارك وتعالى - كل تاريخ تطور الحياة البيولوجية حتى مرحلة الإنسان، وبالتالي فإن دور الأم يكون بمثابة "المُطلق Releaser" يبسط هذه البرامج بناء على فرض القانون الحيوى Biogenic Law، ثم تستكمل الأم دورها بتدعيم هذا الموقف أو ذاك، حسب طريقة تربيته لها، وأيضا حسب تكوينها فى نفس الوقت.

هذه الفقرة من القصيدة تعرّى هذه الردة الحادة بشكل صارخ

وأبصّ لكم من تحت لثحت،

واستخونكم، واتعرّى يمكن اطفشكم،

وأبويّا النمر يفكركم:

زى ما هوّه بياكل التعلب،

أنا باكل الفار.

لكنى لما بقيت إنسان، باكل الأطفال،

والنسون المُنك.

هذا الموقف، موقف "الكر - فر" البارنوى" لا يتميز فقط بالشك والتوجس، وأيضا "الهجوم والهرب"، لكنه يتميز أيضا باللجوء إلى طرق أخطر لإلغاء الآخر دون محوه، ليس بالرجوع إلى الموقف الشيزيدي (العودة إلى الرحم)، وإنما بإلغاء الآخر باحتوائه بداخله، إن جوع البارنوى إلى الحب، وفي نفس الوقت خوفه الشديد من الحب، أو بألفاظ أخرى: إن مغامرة البارنوى، وهو حريص كل الحرص على الاحتفاظ بالآخر (الموضوع) حتى لا يرتد هو إلى قوقعته وحيدا، تجعله يلجأ إلى آلية الاحتواء، التي تظهر غالبا في الاندفاع نحو التملك المطلق حتى الالتهام. هذا ما يشير إليه هذا المقطع من هذا التشكيل:

"كنى لَمَّا بقيت إنسان، باكل الأطفال، والنسون المُنك".

الموقف الالتهامي هنا، وهو أحد تجليات هذا الموقف البارنوى، يمكن ربطه بما ذكرناه في الحالة السابقة "السويقة" (عدد: 2145، نشرة 15 - 7-2003) من أن الإنسان المعاصر عامة، مازال يمارس معظم أشكال سلوكه من خلال هذا الموقف البارنوى، وأن مضاعفات وعملاقة وتثبيت هذا الموقف هي التي تفسر الحروب والتنافس وسياسة السوق، ونضيف هنا: إنه يفسر أيضا التهام الكبير للصغير، ومعظم صنوف الاستغلال والاستعمال الظالم، والإبادة للمختلف، عرقيا أو دينيا أو مذهبيا (أيديولوجيا).

ومع هذه الردة إلى عنف آلية الكر والفر، يتواصل الطرد، والإبعاد (التطفيش)، وهو هو موقف "لا تقتربوا أكثر" الذي جاء في قصيدة "جلد بالمقلوب." (ديوان سر اللعبة) تتنوع آليات الطرد حيث يختلف هنا عن ما جاء في محاولة الطرد والدفع في القصيدة السابقة (بالفصحى)، فهو هنا ملء بالتنفير والتشكيك، والضجر، والإملا.

ما تخافوا بقي مني وتتفضوا

منظرين إيه؟

.بلسه الحدوتة ما خلصتشي؟

"ما لهاش آخر؟"

طب قولى كان فين أولها؟...

أو مين كان أصله اللي قايلها؟

ثم تعود التساؤلات وكأنها تهدئ من تسارع التراجع، تساؤلات تكمل محاولة التحمل

وإعلان الحرص على مواصلة المحاولة:

أنا نفسى أصدق:

إنى متعاز.

متعاز وخلص.

إشالله كلام!!

...

عايزنى ازاي؟

عايزنى كما الوحش الكاسر،

ولا مكسور القلب ذليل؟

دانا جملى تقيل.

موالى طويل.

والناس مَهَيَّة.
إنما حَاعَمَلُهَا...

لَسَّه حوَالِيّ مَا حَدَّثَ خَاف، وَلَا كَدَّبَنِي؟
طَب هِه:
رَاح اَسِيْب.

من أخطر المواقف التي قد يمر بها المريض البارنوي (أو أي إنسان يمر بحدّة في مرحلة الموقف البارنوي) هو أن يتخلى عن دفاعات الكر والفر، والتوجس والتأمّر، وبالتالي أن يترك نفسه مطمئنا (جدا أو فجأة!!)، أو بتعبير أدق، أن يجرب خبرة الطمأنينة، قبل أوانها، الخطورة تأتي من أنه ينقلب فجأة -ظاهريا على الأقل- إلى كائن طيب، رخو، هلامي يكاد يكون بلا دفاعات، ومن ثم بلا حول ولا قوة. من الناحية النظرية يمكن أن نتصور أن هذه التجربة يمكن أن تعتبر فرصة رائعة يتخلص بها من احتمال وقفته في هذا الموقف بقية عمره، على اعتبار أنه بهذا التخلي قد تتاح له فرصة جديدة لبداية مختلفة لمسار أكثر تدرجا، ودعما، لكن من واقع خبرتي: الشخصية والمهنية، لا يسير الأمر هكذا، لأن هذا التنازل الكبير عن الدفاعات في غير أوانه، يجعله نهبا لنفسه الهواجس (أو الحقائق) وهو بلا حول ولا قوة، فيعاني أقصى المعاناة وأرعبها وهو يحاول أن يلمم نفسه أمام نفس القوى المغيرة (حقيقة أو تخيلا) وهو يتصور ساعتها أنها انتهزت فرصة تنازله عن دفاعاته فانقضت عليه.

تذكرت أنني صورت هذا الموقف من قبل في ديواني سر اللعبة بالفصحى في قصيدة أخرى هي "جبل الرحمات"
وهذا ما سوف نشير إليه في حلقة الأحد القادم.

[[[- استعمل هذا التعبير "الدراية البصيرية" حتى لا أكتفى باستعمال لفظ "الوعي" أو "البصيرة" فيختزل ما أريد إلى ما شاع عن الوعي بالمعنى السطحي (معرفة المكان والأشخاص...الخ) أو بالمعنى الغامض المتراخي، وأقرب ترجمة لها هي Insightful awareness وأعني به نوع من الإدراك النشط المتجاوز للحواس وأيضا للتفكير الاستبطاني.

*** **

الجمعية المصرية للعلاج - اذات الجماعية والعملية - اذات العلاجية

المؤتمر الدولي الأول: العلاج النفسي الجماعي والعملية الجماعية

الأمل في الأوقات العصيبة

www.arabpsynet.com/Congress/CongJ37FirstInterConfEAGT.pdf

Brochure

www.arabpsynet.com/Congress/CongJ37FirstInterConfEAGT.Br.pdf

القاهرة - مصر

ورش عمل قبل المؤتمر: 24 ستمبر 2013

فندق موفينيك : 25-27 ستمبر 2013

info@eagt.net